في وزارة المعارف

مدرسة اللغات

يجب أن نهنئ وزارة المعارف ، فقد ظهرت وزارة المعارف بما ينبغي أن نهنأ به ، يجب أن نهنئ وزارة المعارف ، فقد أصبحت لها جريدة رسمية ، وأصبح لها في هذه الجريدة الرسمية كتاب رسميون يؤيدونها ويذودون عنها وأن كانوا يستحقون وراء الألقاب والاوصاف الشفافة التي لا تحجب ما وراءها ... أصبحت لوزارة المعارف جريدة رسمية ، ولكن هذه الجريدة الرسمية تسئ إلى وزارة المعارف من حيث تريد الاحسان اليها ، تثنى على وزارة المعارف بحق وبغير حق ، لا تكلف في ذلك صوابا ولا تتحرى فيه منفعة ، بل لا تحتفظ في ذلك بكرامتها ولا بكرامة وزارة المعارف ، ولا تكره أن تضحك الناس منها ومن وزارة المعارف .

أقرأت ما نشرته المقطم حين نشرت نتيجة الامتحان فى مدارس المعلمين الاولية؟ زعمت أن الفضل فى هذا النجاح الباهر يعود إلى فلان من موظفى وزارة المعارف واثنت على فلان بما يستحق ومالا يستحق . ولكنها نسيت أو تكلفت أن تنسى ان فلانا هذا قد نقل أمس أو أول أمس إلى التعليم الأولى ، فلم يستطع أن يشرف عليه بعد ولا أن يحدث فيه أثرا حسنا أو سيئا . أقرأت ثناء المقطم يوم نشر نتيجة الكفاءة أن هذا الثناء قد وزع توزيعا حسنا فأصاب من ليس لهم فى التعليم حظ قليل ولا كثير . أصاب رؤساء الامتحان وموظفى الوزارة والمصححين إلى آخر ما هناك . بهذه الطريقة تظفر وزارة المعارف بما تشاء من حمد وثناء ، وليس يعنيها أن يكون هذا الثناء مستحقا أو مغصوبا ، وليس يعنيها أن يكون هذا الثناء جداً أو هزلا ، وإنما يعنيها أن تثنى عليها الصحف السيارة ، شأنها في ذلك وأن بعض العمد الاميين فى عصر من العصور ... إلى هذا الحد وصلت وزارة المعارف في مصر فهى تشترى الثناء ولو كلفها ذلك ان تجعل نفسها ضحكة لمن يريد أن يضحك . فكيف تريد ان تشرف هذه الوزارة على العلم والتعليم أشرافا جديا منتجا وهي في الثناء والحمد أرغب منها في النفع والانتاج لوزارة المعارف اذن جريدة رسمية تدفع عنها وتثنى عليها . ووزارة المعارف تبيح لهذه الجريدة الرسمية وكتابها من أسرارها وخائلها وما تفعل به على الصحف الاخرى والكتاب الآخرين ذلك لأن الصحف الاخرى قد تؤثر الحق . والكتاب الآخرين قد يقتصدون في المدح ويميلون إلى النقد. واذن فهم يوعدون ثم تخلف مواعيدهم ، وهم يطلبون البيان إلى وزارة المعارف فلا يسمع لهم طلب ولا يجابون إلى بيان وذلك شيء مألوف في طبائع الناس ، والمشرفون على الامر في وزارة المعارف ناس من الناس يشاركون غيرهم في مواطن الضعف والتقصير .

تفضى وزارة المعارف إلى جريدتها الرسمية وكتابها الرسميين بأسرارها ودخائلها وتنشر فيها بلاغات شبيهة بالرسمية كما يقولون ، تدفع فيها عن نفسها نقد الناقدين . فقد قرأنا فى المقطم تاريخ مدرسة اللغات وما

دار فيها من مناقشات وما كان من اجتماع بمكتب الوزير وما اتخذ من قرار فى هذا الاجتماع وكل هذا قد نشر بلهجة الواثق المؤكد الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم إلا عن وحى ولكننا برغم هذا كله نشك في صدق ما نشر ونعتقد أن مدير مصلحة الآثار المصرية لا يرى رأى وزارة المعارف . لا رأى كمال باشا في تعليم الهيروغليفية على هذا النحو العقيم الذى عرفه القراء . نعتقد ذلك . نريد أن تؤكد لنا وزارة المعارف اننا مخطئون ، وان الفنيين قد تورطوا معها في هذا الخطأ وقرروا أن تدرس الهيروغليفية فى مصر على هذا النحو السخيف . فاذا أكدت لنا وزارة المعارف اننا مخطئون فلن يصعب علينا الجهر بان مدير مصلحة الآثار قد أخطأ الطريق كما أخطأتها وزارة المعارف وقد رأى فى مسألة واحدة رأيين متناقضين : أحدهما في تقرير الجامعة الأميرية والآخر في هذا الاجتماع الاخير .

على أن أمر وزارة المعارف لم يقف عند هذا الحد . فهى لا تكتفى بالدفاع عن نفسها وإنما تضيف اليه الدفاع عن كمال باشا كأن أحدا من الناس يهاجم كمال باشا أو يصفه بما يكره . وهى فى هذا الدفاع عن كمال باشا تسلك طريقا معوجة شرها أكثر من خيرها وضرها أكبر من نفعها . فتنال الفرنسيين الذين نظموا المتحف المصرى وأوجدوا علم الآثار المصرية بالوان من التعريض والتلميح كنا نحب ألا نعرض لها لأنها لا تلائم الكرامة ولا تشرف من يتورط فيها ولا سيما فى مثل هذه الأيام . وهي لا تكتفى بالنيل من «مريت» و «مسبيرو» وأمثال «مريت» و «مسبيرو» وإنما تفرق بين المصريين أنفسهم تفريقا سخيفا . تريد أن تثبت أو يريد أبواقها أن يثبتوا أن كمال باشا قد نفع وأفاد فخرج التلاميذ الذين تفاخر بهم مصر . ويحكم ! فمن الذى أنكر أن كمالا قد نفع وأفاد؟ ولكنها ، أو ولكنهم يزعمون لتلاميذ كمال مالا يزعم تلاميذ كمال لأنفسهم . يزعمون لتلاميذ كمال تأليفا وترجمة يعلن تلاميذ كمال أنفسهم أنهم لم ينفردوا بها وإنما اشتركوا فيها مع آخرين لم يرضعوا الهيروغليفية ولا علم الآثار من ثدى كمال ، وإنما تعلموا على غير كمال . ويزعمون ان هذه الترجمة وهذا التأليف أثر من آثار كمال ، وتلاميذ كمال أنفسهم يعترفون بأنهم أن يكونوا قد وصلوا إلى شيء فمصدر ذلك إنهم أقاموا سنتين في المتحف يتعلمون على غير كمال ويقتفون آثارا غير آثار كمال ، وتلاميذ كمال أنفسهم يعترفون بأنهم أن يكونوا قد وصلوا إلى شيء ، فمصدر ذلك إنهم أقاموا سنتين فى المتحف يتعلمون على غير كمال ويقنون آثارا غير أثار كمال ، واننا إذا طالبنا بأنشاء مدرسة للآثار فإنما نطالب بأن تنهج وزارة المعارف في درس الهيروغليفية والآثار هذا المنهج الذي نهجه المتحف المصرى حين أخذ تلاميذ كمال وغيرهم فعلمهم كيف تدرس اللغة الهيروغليفية وكيف تدرس الآثار . وهو الآن يريد أن يرسلهم إلى أوربا ليتمموا درسهم فيها .

نعم ! نريد أن تنشأ مدرسة الآثار على هذا المنهج . نريد أن تكون القاعدة التي وضعها المتحف أساسا لهذه المدرسة . تريد أن تكون هذه المدرسة في المتحف لا في مدرسة المعلمين .

نريد ... ولكن وزارة المعارف تريد شيئا آخر . وقد تمضى وزارة المعارف فيما تريد ، ولكن مضيها هذا لن يغير فى الأمر شيئا ولن يجعل مدرستها الجديدة نافعة ولا مفيدة . ومازلنا نلح في ان وزارة المعارف قد فشلت وفشل معها كمال باشا في تعليم الهيروغليفية فلا معنى لاستئناف هذا الفشل . ومازلنا نلح فى ان وزارة المعارف قد عنيت بشيء عناية ناقصة وأهملت شيئا آخر اهمالا عظيما . عنيت بعصر الفراعنة وأهملت عصر المسلمين . وعنايتها بعصر الفراعنة ناقصة لا تفيد ولكن عصر المسلمين ومجد المسلمين وفن المسلمين كل هذه الأشياء تستحق من وزارة المعارف مثل هذه العناية الناقصة إذا لم يكن لنا بد من النقص في ١٥٦ئ ؟ ئ . نريد أن تجيبنا وزارة المعارف : ما بالها تتعجل في تعليم اللغة الهيروغليفية ولا تفكر بوجه من الوجوه في درس الآثار الاسلامية ؟ سيقولون : آثار توت عنخ آمون وما أحدثت من ضجة . كلا ! أن وزارة المعارف كغيرها من الوزارات لم تحفل بهذه الآثار . وحسبك أن هذه الآثار معروضة فى المتحف وأنها لم تزر إلى الآن زيارة رسمية ما ، وإنما زارها المارشال اللنبى وقرينته ! وهناك آثار اسلامية ظهرت ولها قيمتها وقد احدثت حركة فى أوروبا وفى مصر ولكن الذي اظهرها ليس انجليزيا وإنما هو مصرى مثلك ومثلى هو بهجت بك لا كارتر ولا كارنارفون هناك الفسطاط ظهرت وألف فيها كتاب أو غير كتاب وعنى بها الأوروبيون ، ولكننا نحن نجهلها الجهل كله وأى جهل أشد من أن يكون هذا الكتاب أو هذه الكتب قد كتبت بالفرنسية وطبعت في أوروبا ولا تزال مكتوبة بالفرنسية غير مترجمة إلى العربية وليس من شك في أن لهذا الكتاب أو هذه الكتب قيمة علمية فنية لا جدال فيها . فماذا عملت وزارة المعارف للعناية بهذا الكتاب أو هذه الكتب أو بالفسطاط مع أن ترجمة هذا الكتاب إلى العربية ونشره على الناس لا يكلف وزارة المعارف عشر ما سيكلفها طبع المعجم الذي وضعه كمال باشا والذي لا نعرف قيمته العلمية بعد نريد أن تجيبنا وزارة المعارف ما بالها تعنى بشيء وتهمل شيئا آخر؟ لا نشك فى أن هذا الاهمال للآثار المصرية لم يصدر عن ازدراء لهذه الآثار وإنما نثق الثقة كلها بأنه صدر عن ضيق التصور من جهة وعن استغلال عواطف الجمهور من جهة أخرى . ضيق التصور ، فوزارة المعارف أضيق رأسا من أن تسع هذه الفكرة التي تكلفها أنشاء مدرسة عامة للآثار تتناول عصور مصر على اختلافها ، واستغلال عواطف الجمهور لأن الناس قد سمعوا بهذه الآثار المصرية المستكشفة ورغبوا في أن تعنى حكومتهم بالآثار المصرية ، فوزارة المعارف تستغل هذه الرغبة ليقول الناس : انها نازلة عند ارادة الأمة محققة لمنفعة الأمة . ولكن الناس يعلمون ان النزول عند ارادة الامة يجب أن يكون صحيحاً غير ممسوخ وان الذين يحاولون تحقيق منفعة الأمة يجب أن يحققوها كاملة غير منقوصة . وأذن فاذا اردت يا معالي الوزير أن تنزل عند إرادة الأمة فتعنى بالآثار المصرية والفن المصرى فليكن ذلك على وجه المنفعة والصواب . فليكن ذلك في انشاء مدرسة عامة للآثار يشرف عليها الأكفاء من علماء الآثار ويدرس فيها العلماء من أساتذة الآثار . ليكن ذلك فى إنشاء هذه المدرسة العامة التي يختلف اليها الطلبة ليتخصصوا فى فنونها المتنوعة والتى يختلف اليها الجمهور ليعلم من تاريخ مصر وفن مصر ومجد مصر ما يحسن رأيه فى

مصر . ليكن ذلك فى انشاء هذه المدرسة لا في إنشاء درس للهيروغليفية وزيارة للمتحف المصرى بعد الظهر . فان ذلك ضرب من العبث بالعقول وخداع الناس عن حقوقهم ومنافعهم .

ثم نعود فنلفتك يا معالي الوزير إلى انك تريد أن تبنى بناء فضع أساسه وابدأ بأسفله لا باعلاه . انشئ ادارة الفنون والآداب وكل أمرها إلى الأخصائيين ثم كلف هؤلاء الأخصائيين أن ينشئوا لك مدرسة الآثار العامة . اذن تنفع حقا . واذن توفق حقا إلى صواب .

طه حسين

السياسة ١٦ يولية ١٩٢٣ .